لوازم الحرية في القرآن الكريم (الجزاء انموذجاً)

الباحثة. منى عباس جواد كاظم أ.م.د. محمد حمزة الشيباني

كلية العلوم الاسلامية– جامعة بابل

qur732.mona.abbas@student.uobabylon.edu.iq

الملخص:

تعددت الدراسات حول مواضيع القران الكريم، ومع ذلك كان ومازال القرآن منبع متجدد للقراء والباحثين وعطائه لا ينضب ولا ينتهي، فهو مصدر غني لكل من أراد البحث فيه والإستلهام من معانيه، وخير ما يمكننا التحدث عنه هو الجزاء الإلهي لكل من عمل صالحًا وأطاع أوامر الله وقوانينه، ولكل من عصى امر الله تعالى وطغى عن عبادته.

الكلمات المفتاحية: (الجزاء، القرآني، المحسنين، الكافرين).

The requirements of freedom in the Holy Quran

(The penalty is an example)

Mona Abbas Jawad Kazem

Dr. Muhammad Hamza Al-Shaibani

College of Islamic Sciences – University of Babylon

qur732.mona.abbas@student.uobabylon.edu.iq

Abstract:

There have been many studies on the topics of the Holy Quran, however, the Quran was and still is a renewable source for readers and researchers and its giving is inexhaustible and never ends. It is a rich source for anyone who wants to research it and draw inspiration from its meanings. The best thing we can talk about is the divine reward for everyone who did good and obeyed God's commands and laws, and for everyone who disobeyed God's command and transgressed against His worship.

Keywords: (Reward, Quranic, Doers of Good, Unbelievers).

المبحث الاول: الجزاء في اللغة والاصطلاح وعلاقته بالمسؤولية.

الجزاء في اللغة:

جزاء، أي: "كافأ بالإحسان وبالإساءة"(١). "وكما تجازي تجازى، وأحسن إليه فجزاه خيراً إذا دعا له بالمجازاة"(٢). "جزى الأمر يجزي جزاء وفي الدعاء جزاه الله خيرا أي قضاه له وأثابه عليه"(٣).

الجزاء في الاصطلاح:

الجزاء هو الحكم(٤)، والجزاء لفظ عام يطلق على النافع والضار(٥).

علاقة الجزاء بالمسؤولية

الجزاء هو النتيجة المترتبة على قيام الإنسان بمسؤولياته أو مخالفته لها. فقد حدد القرآن الجزاء بقدر المسؤولية مع إيثار جانب الرحمة والعفو ومضاعفة الحسنة. قال تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠) **(الأَنْعَام)**. فعندما يوجه الله تعالى إلينا أمره فنحن ملزمون بالإلتزام به، فإن استجبنا وخضعنا لأمره ولبينا نداءه، نكون قد تحملنا مسؤوليتنا التي يترتب عليها الجزاء الحسن. وإن كان موقفنا أمام نداء الله تعالى وأمره ومخاطباته لنا التمرد والعصيان ومخالفة امره، ترتب على ذلك الجزاء السيء، فالمطيع لأمره تعالى والقائم برعايته يجزيه الله تعالى ثواباً حسناً، و كذلك العاصي لأمر الله تعالى المخالف لطاعته يعاقبه الله تعالى بالعقاب الأليم. وبذلك يظهر أن الجزاء مترتب على المسؤولية وسبب ناشئ منها. فالمسؤولية والجزاء معناهما متلازمان تتداخل حقائقهما وتندمج معالمهما لما بينهما من علاقة وثيقة، الأمر الذي يجعل كل من يتكلم بموضوع المسؤولية لا بد أن يتكلم بموضوع الجزاء المترتب عليها، لأن التلازم بينهما ثابت ولا ينفك(٦).

من هذا الحديث نستنتج ان الله تعالى قد ربط المسببات بالأسباب ربطًا رصينًا، ومنها الجزاءات على اختلاف أنواعها، لتكون عاقبة لأعمال الفرد، لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا بثواب أو عقاب، وذلك ليقوم الناس بالعدل، وتتهيأ نفوسهم

للتكليف والسؤال، وتتحقق العبودية لله تعالى، ويوفى كل فعل او قول صادر من الانسان نصيبه غير منقوص.

المبحث الثاني: الجزاء الأخلاقي

إنّ الجزاء الأخلاقي الإستحقاقي ينتهي إلى نوع من «التّقدير للذات»، ويؤدي إما إلى ارتفاع في القيمة الإنسانية، وإما إلى هبوط بها، فإذا كان الإنسان يتصرف بحرية فمعنى ذلك أنّ عمله انبعاث لكيانه الكامل «جسما» و «روحا». ولا يخفي ما بين هذين العنصرين من صلة وثيقة، وتفاعل متبادل؛ ولذا كان من العدل أن يلقى الإنسان جزاءه، أو عقابه في حسه، وروحه. ونحن نرى أنّ قانون الطّبيعة نفسه يوزع الجزاء على الفضيلة أو الرّذيلة توزيعا مناسبا: فالكفاح جزاؤه النّصر، والاعتدال جزاؤه الصّحة، والإدمان والرّذيلة جزاؤهما النّتائج الضّارة للجسم، والعقل. غير أنّ هذه الجزاءات الطّبيعية، في الحياة الدّنيا، ليست كاملة، ولا شاملة. ولذا فإنّ العدالة الإلهية قد تكفلت بإكمال هذا النّقص عن طريق الحساب في الآخرة (٧).

فالجزاء الأخلاقي وفقا للقانون أن كل مسؤولية لا بد لها من جزاء، أي ان لكل عمل جزاء خاص به ويتلائم معه (٨).

ولذا فإن الجزاء الخلقي الصحيح هو ذلك الشعور الذي يعيد تثبيت القانون المنتهك وهو (التوبة)، وعلى هذا فالتوبة هي الجزاء الخلقي، الذي يفرض تدخل الجهد من أجل الإصلاح، أي إنها واجب يفرضه الشرع على أثر تقصير في أداء الواجب، ويتجلى في الأفعال لا في اتخاذ خط سلوكي جديد فقط، بل أيضًا في إعادة تجديد البناء الذي تهدَّم بصورة منهجية، فليس المهم التوبة فقط، وإنما الإصلاح، إصلاح ما نقص أو فسد أو أفسده الإنسان في نفسه او مع الاخرين (٩).

المبحث الثالث: الجزاء القرآني

كل نفس في يده الخلقة خالية عن الملكات بأسرها، وإنما تتحقق كل ملكة بتكرر الأفاعيل والآثار الخاصة بها وبيان ذلك أن كل قول أو فعل ما دام وجوده في الأكوان الحسية لاحظ له من الثبات لأن الدنيا دار التجدد والزوال، ولكنه يحصل

منه أثر في النفس، فإذا تكرر استحكم الأثر فصار ملكة راسخة مثاله الحرارة التي تحدث في الفحم فإنها ضعيفة أولًا وإذا اشتدت تجمّرت ثم استضاءت، ثم صارت صورة نارية محرقة لما قارنها مضيئة لما قابلها، وكذلك الأحوال النفسانية إذا تضاعفت قوتها صارت ملكات راسخة وصورا باطنة تكون مبادئ للآثار المختصة بها، فالنفوس الإنسانية في أوائل الفطرة كصحائف خالية من النقوش والصور تقبل كل خلق بسهولة، وإذا استحكمت فيها الأخلاق تعسر قبولها لأضدادها ولذلك سهل تعليم الأطفال وتأديبهم وتنقيش نفسهم بكل صورة وصفة ويتعسر أو يتعذر تعليم الرجال البالغين وردهم عن الصفات الحاصلة لهم لاستحكامها ورسوخها (١٠).

ثم لا خلاف في أن هذه الملكات وأفعالها اللازمة لها إن كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة ومرافقة الملائكة والأخيار، وإن كانت ردية كانت مقتضية للألم والعذاب ومصاحبة للشياطين والأشرار، وإنما الخلاف في كيفية إيجابها للثواب أو العذاب، فمن قال إن الجزاء مغاير للعمل قال إن كل ملكة وفعل يصير منشأ لترتب ثواب أو عقاب مغاير له بفعل الله سبحانه على التفصيل الوارد في الشريعة(١١).

ومن قال إن العمل نفس الجزاء قال إن الهيئات النفسانية اشتدت وصارت ملكة تصير متمثلة ومتصورة في عالم الباطن والملكوت بصورة يناسبها إذ كل شيء يظهر في كل عالم بصورة خاصة، فإن العلم في عالم اليقظة أمر عرضي يدرك بالعقل أو الوهم وفي عالم النور يظهر بصورة اللبن، فالظاهر في العالمين شيء واحد وهو العلم لكنه تجلى في كل عالم بصورة، والسرور يظهر في عالم النوم بصورة البكاء، ومنه يظهر أنه قد يسرك في عالم ما يسوءك في عالم آخر، فاللذات الجسمانية التي تسرك في هذا العالم تظهر في دار الجزاء بصورة تسوءك وتؤذيك، وتركها وتحمل مشاق العبادات والطاعات والصبر على المصائب والبليات يسرك في عالم الآخرة مع كونها مؤذية في هذا العالم (١٢).

ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصورة اسم الملك إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال واسم الشيطان إن كانت من أضدادها وقد يطلق على الأولى اسم الغلمان والحور وأمثالهما، وعلى الثانية اسم الحيات والعقارب وأشباههما، ولا فرق بين الاطلاقين في المعنى، وإنما الاختلاف في الاسم. وهذا المذهب يرجع إلى القول بتجسد الأعمال بصورة مأنوسة مفرحة أو صورة موحشة معذبة (١٣).

المبحث الرابع: جزاء المحسنين في الدنيا والاخرة

(وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨) (الكَهْف :).

أي: فله الجنة جزاء لطاعته لله تعالى (١٤)

(هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠) (الرَّحْمٰن).

هل جزاء من انقطع عن الأنس بالمخلوقين إلا الأنس بالله عزّ وجلّ ونيل الجنة ونعيمها فالأنس بالمخلوقين عقوبة، والقرب من الدّنيا وأبنائها معصية، والركون إليهم مذلة (١٥).

(جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦)(طه).

فالتزكي طلب الزكا بإرادة الطاعة، والعمل بها. والزكا النماء في الخبر، ومنه الزكاة، لان الميل ينمو بها في العاجل والأجل، لما لصاحبها عليها من ثواب الله تعالى. وقيل: معنى "تزكى" تطهر من الذنوب بالطاعة بدلًا من تدنيسها بالمعصية (١٦) .

(مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٦) (النَّحْل).

جزاء الصبر، هو أن يعطى الله عزّ وجلّ العبد الرضا، فمن تحقق بالصبر ولزم طريقة الصابرين، فإنّ الله عزّ وجلّ يثيبه عليه أحسن ثواب عاجلًا وآجلًا (١٧).

المبحث الخامس: جزاء الكافرين في الدنيا والاخرة

(وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١) (البَقَرَة :).

أي: لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة الحرم (فإن قتلوكم فاقتلوهم) فلا تبالوا بقتالهم، فإنهم هم الذين هتكوا حرمة الشهر الحرام فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم (١٨).

(إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩) (المَائِدَة).

إذا أنت مددت يدك إلي لتقتلني ، فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك. فهذا الخاطر – خاطر القتل – لا يدور بنفسي أصلا، ولا يتجه إليه فكري إطلاقا . . خوفا من الله رب العالمين . . لا عجزا عن إتيانه . . وأنا تاركك تحمل إثم قتلي وتضيفه إلى إثمك الذي جعل الله لا يتقبل منك قربانك؛ فيكون إثمك مضاعفا، وعذابك مضاعفا (١٩) .

(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨) (المَائِدَة).

أي: عقوبة من الله تعالى على فعلتهما جزاء على سرقتهما لعدم تكرار هذا الفعل المرفوض أخلاقيا ودينيا (٢٠).

(ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨) (فُصِّلَت).

الذين عادوا الله بالعصيان وكفروا به، وعادوا أولياءه: من الأنبياء والمؤمنين فجزاهم الله بالنار والعذاب جزاء على فعلهم (٢١).

(جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤) (الوَاقِعَة).

لقد انعم الله على الانسان بنعم كثيرة منها المنفعة الدّينيّة التي بها نجاة المؤمنين به المقيمين لما فيه من الفرائض والسّنن، وما وعدهم الله عليه من الثّواب

العظيم وأعدّ لهم من خيرات الجنة جزاء بما كانوا يعملون. وتلك هي النّعمة الكبرى والمنفعة العظمى والشّرف الأعلى والجزاء الأوفى (٢٢).

(لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ) (النِّسَاء).

إنه يريد بذلك جميع المعاصي صغائرها وكبائرها وإن من ارتكب شيئا منها، فان الله يجازيه عليها. اما في الدنيا أو في الاخرة (٢٣).

(وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠) (الأَعْرَاف).

سيجزون جزاء ما كانوا يعملون من المعاصي بأنواع العذاب فالله عادل لا يظلم مقدار ذرة ولكل انسان جزاء يستحقة بسبب ما فعل في الحياة الدنيا من خير او شر(٢٤).

المصادر والمراجع:

١. القران الكريم.
٢. الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين: ٦/ ١٦٤؛ ابن منظور، لسان العرب: ٦١٩.
٣. الزمخشري، اساس البلاغة: ١/ ١٣٨.
٤. الفيومي، المصباح المنير: ١/ ١٠٠.
٥. الصدر، بحوث في علم الأصول، الدار الإسلامية: ٦/ ٦٥٩.
٦. الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القران: ٦٤. ٦٥.
٧. الطوسي، التبيان في تفسير القران: ٤/ ٣٣٠ــ٣٣١؛ الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير: ٢/ ٤٥٨ــ ٤٥٩؛ دراز، دستور الاخلاق في القران: ٣٥٤؛ السبحاني، أضواء على عقائد الشيعة الامامية: ٦٦٩.
٨. دراز، دستور الاخلاق في القران: ٤٣.
٩. السبزواري، مواهب الرحمن في تفسير القران: ٢/ ٣٠٨.

١٠. صالح حميد / عبد الرحمن ملوح، موسوعة النضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ص): ٤/ ١١٣.

١١. النراقي، ملا محمد مهدي ، جامع السعادات: ١/ ٤٠. ٤١.

١٢. النراقي، ملا محمد مهدي، جامع السعادات: ٤٢/١؛ الحيدري، كمال، المعاد رؤية قرآنية: ٢/ ٢٢٥.

١٣. السبزواري، شرح المنظومة: ٢٧٢/٥؛ المحسني ، صراط الحق في المعارف الإسلامية والأصول الإعتقادية٤/ ٢١٢.

١٤. النراقي، ملا محمد مهدي، جامع السعادات: ١/ ٤٢.

١٥. الطوسي، التبيان في تفسير القران: ٧/ ٨٧؛ السيواسي، عيون التفاسير للفضلاء السماسير (تفسير الشيخ): ٣/ ٦٠.

١٦. الخركوشي، تهذيب الاسرار في أصول التصوف: ٦٠؛ الماوردي، علي بن محمد البغدادي النكت والعيون(تفيير الماوردي): ٥/ ٤٤٠.

١٧. الطوسي، التبيان في تفسير القران: ٧/ ١٩٢؛ الميداني، معارج التفكر: ٧/ ٦٨٢.

١٨. الخركوشي، تهذيب الاسرار في أصول التصوف: ١٠٤؛ الشرباصي، موسوعة اخلاق القرآن: ١/ ٢٠٠.

١٩. الفيض الكاشاني، التفسير الاصفى: ١/ ٩٣؛ النهاوندي، نفحات الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٤١٤.

٢٠. سيد قطب، في ظلال القران: ٢/ ٨٧٦؛ مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ٧/ ٢٩٣.

٢١. الفيض الكاشاني، التفسير الاصفى: ١/ ٢٧٤؛ دراز، محمد عبد الله، دستور الاخلاق في القران:٦٢.

٢٢. الطوسي، التبيان في تفسير القران: ٩/ ١٢٢؛ الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، نفحات القرآن: ٥/ ٤٥.

٢٣. الرازي، اعلام النبوة: ١٦/ ٧٤.

٢٤. الطوسي، التبيان في تفسير القران:٣/ ٣٣٧؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القران: ٥/ ٦٩.

٢٥. الطوسي، التبيان في تفسير القران:٥/ ٤٠؛ الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير: ٢/ ٦٢٨.